العناصر القصصية في مقالات الزيات

اياد جوهر عبد الله
مدرس مساعد
جامعة كركوك / كلية التربية

الملخص

وهكذا انتهى بحثنا الذي دار حول المقالة القصصية عند علم كبير من أعلام الادب العربي الحديث وهو أحمد حسن الزيات ، وقد ظهر لنا في البحث ان هذه المقالات تضمنت عدة عناصر تعود الى القصة والمقالة ، منها السرد .

اذ كان السرد في معظم مقالات الزيات القصصية موضوعياً ، حيث رواها الكاتب دون ان يشارك فيها ، كذلك هناك سرد ذاتي حيث يشارك الكاتب في احداث بعض تلك المقالات ومن العناصر الاخر في بحثنا هذا ، عنصر الشخصيات .

اذ نجد شخصيات الكاتب في مقالاته من الطبقة الفقيرة ونجد كذلك شخصيات من الطبقة الارستقراطية إلا أنها قليلة قياساً على الطبقة الفقيرة ونجد الكاتب يحدد ابعاد شخصياته اجتماعياً ، ومهنياً ، فضلا على تحليله لعدد من نفسيات شخصياته ، وقد رسم الزيات معظم شخصياته بطريقة التحليل ،والعنصر الآخر الذي ورد في مقالات الزيات القصصية هو عنصر الوصف والحوار ، حيث يعمد الكاتب في مقالاته الى ابراز عنصر الوصف لما له من اهمية جمالية من خلال وصفه للأماكن والاشياء التي تجعل القارئ يكون اكثر انتباهاً في قراءته ، كما عمد الكاتب في مقالات اخر الى إيراد عنصر الوصف من اجل وظيفة تفسيرية وأما الحوار فقد عمد الكاتب الى إيراد معظم موضوعات مقالاته بطريقة الحوار لما له من اهمية في تطوير الاحداث والكشف عن الشخصيات باستخدام نوعي الحوار الداخلي والخارجي .

وأما العنصر الأخير في بحثنا هذا ، هو التحليل والهدف ، حيث يعمد الكاتب إلى وضع إغراض وراء تلك المقالات أو أهداف ، وقد تكون اجتماعية أو نقدية أو فكرية أو سياسية ، ويمثل تلك الأهداف في مقالاته .

قسمت خطة البحث على تمهيدٍ ، يتضمن المقالة القصصية وبعد التمهيد تأتي أربعة مباحث كل مبحث يختص بموضوع معين .

فالمبحث الاول : يتناول السرد ، تعريفه ، ونوعا السرد الموضوعي والذاتي ، والزمن في السرد .

اما المبحث الثاني:فيتناول الشخصيات ، البطل ، كيفية رسم الشخصيات .

ويتضمن المبحث الثالث: الوصف والحوار ، تعريف الوصف ، وظائفه في القصة أو المقالة ، العلاقة بين الوصف والحوار .

اما المبحث الرابع : التحليل والهدف ، وهو معرفة العنصر القصصي أو المقالي المهم فيها وهو لماذا كتبت هذه المقالات القصصية (وماذا يريد الكاتب ان يقول) ،أهداف اجتماعية ، نقد ظاهر معينة .

ومن اهم المصادر التي اعتمدت عليها في دراستي هذه هي : فن المقالة وفن القصة محمد يوسف نجم ، وفن القصة ، احمد أبو سعد ، وفن القصة القصيرة بالمغرب في النشأة والتطور والاتجاهات – أحمد المديني ،وفن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث – ربيعي عبد الخالق ، والأدب وفنونه ، دراسة ونقد – عز الدين إسماعيل

مـــــدخل

مع تطور الحياة وازدهارها عبر عصور متلاحقة كان الأدب مصاحباً لهذه الحياة ، بل إنه كان صدىً يعكس ما في الحياة من أصواتٍ ، والمقالة فرع من فروع الأدب ظهرت لتعكس صدىً آخر تحت جنسٍ أدبي معين ظهر وتكوّن وأصبحت له خصائصه ومميزاته ومع استمرار ذلك التطور استمر تطور الفنون الأدبية ومنها المقالة ، أو أصبح الناس في كثرة من الأشغال والأمور التي أبعدتهم عن مجال القراءة مما دعاهم إلى أن يطلبوا من الأدب ما كان قصيراً لا يحتاج إلى وقتٍ يؤدي إلى كثرة ابتعادهم عن أمورهم .

والمقالة هي خير ما وجدوه يلبي طلبهم ،لكن المقالة على الرغم من وجودها جنساً أدبياً له خصائصه ومميزاته ، وفرعاً من فروع الأدب فأنها لم تبق على صورتها إنما حدث لها تطور عندما كتب بعض المقالين بوعيٍ منهم أو غير وعي بأسلوب قصصي من خلال إدخال عناصر السرد والحوار على تلك المقالات فجعلت تلك المقالات تحتوي على عناصر قصصية ، فظهر ما يسمى (المقالة القصصية) ، والمقالة القصصية أصبحت فرعاً من فرعٍ .

أ- نبذة عن حياة الكاتب .

((وُلد الاديب العربي الكبير احمد حسن الزيات في الثاني من نيسان سنة ١٨٨٥م في قرية كفردميرة القديم مركز طلخا مديرية الدقهلية . كان ابواه قرويين متوسطي الحال فأمه فمن أروقة حجازية هاجرت اسرتها من المدينة المنورة واستقـــرت في طلخا فأطلق عليها ((اسرة المدني)) . وأما ابوه فسليل اسرة مصرية عُرفت بالورع والدين وينتهي نسبها الى الشيخ مجاهد الذي كان له مقام يُزار . نشأ الزيات في قريته وسط مظاهر البؤس والفقر ، حيث كان ابواه

يحترفان الزراعة ، كسائر اهل القرية الذين لم يكونوا يملكون من ارض القرية شبراً ، وإنما كانوا أجراء لمالكيها من الاقطاعيين . كان للزيات اربعة اخوة وأختان وكان لوالده نزوع ادبي فقد كان يُكلفه ان يقرأ له القصص الشعبية أما أمه فكانت غاية في الذكاء كما كانت محدثة لبقية وراوية تمتع سامراتها وسامريها من الصغار بشائق الحكايات وعذب الأقاصيص . دخل الزيات الكتاب في الخامسة من عمره وظل فيه حتى أتم العاشرة ، وفي هذه الاثناء تعلم القراءة والكتابة واكمل حفظ القرآن الكريم وتجويده فكان محط عناية فقية الكتّاب (الشيخ حسن) إذ كان يستعين به في كتابة الاحجية والادعية لجمال خطة ، كما كان ينيبه في قراءة القصائد الدينية لضعف بصره . ونتيجة لما كان يقرأه لأبيه من قصص وما سمع من أمه من حكايات وأقاصيص ولوفرة ماتلا في المحافل من قصائد دينية نيابة عن شيخه نشأ لديه ميل ادبي ونزوع الى قول الشعر وقد عرف اهل القرية عنه هذا الميل ، فكانوا يطلبون منه قول الشعر في المناسبات)) [١] .

وقد تم اختيار النماذج من وحي الرسالة (ويقع هذا الكتاب في اربعة اجزاء ، تضم مقالات الزيات واتجاته التي نشرها في الرسالة ، ولاهمية هذا الكتاب وغنائه بالفكر الادبي والنقدي والسياسي والاجتماعي ولان الزيات كتبه باسلوب ادبي رفيع يعيد الى الاذهان ما كانت عليه الاساليب العربية القديمة من نقاء ورصانة،فأنه نال به جائزة الدولة عام ١٩٥٣.طبع الكتاب عدة طبعات))[٢] .

ب- المقالة القصصية .

إن المقالة بذرة من بذور الأدب بأنواعه المختلفة ظهرت في الآداب القديمة قبل القرن السادس عشر وهذا الأمر ليس فيه مجال للشك أو الاستغراب لأن المقالة في شأنها كشأن سائر فنون الأدب الأخر، تقوم على ملاحظة الحياة وتدبر ظواهرها وتأمل معانيها ، ولو بحثنا عن معنى كلمة مقالة في القواميس والكتب التي عُنيت بدراسة المقالة نجد لها عدة معانٍ . " ان كلمة مقالة – لغوياً – مأخوذة من القول ، جاء في القاموس المحيط : القول الكلام أو كل مدلٍ به اللسان ، والجمع أقوال وجمع الجمع أقاويل ، أو القول في الخير والقيل في الشر أو القول مصدر والقول والقال أسمانٍ له ، أو قال قولاً وقيلاً وقولةً ومقالةً ومقالاً فيهما " [٣] . وجاء في لسان العربِ ((قال يقولُ قولاً وقيلاً وقولةً ومقالاً ومقالةً " ومن أحسن لسان العرب قولاً ممن دعى إلى الله " . وجاءت كلمة (المقالة)أو(المقال) في اشعار الاسلاف منذ النابغة الذبياني ولاسيما اعتذارياته . كما في قوله :

وأخبرتُ خبرُ الناسِ انَّك لُمتني
وتِلكَ التي تستكُ منها المسامعُ

مقالةَ أنْ قُلتَ سوفَ انالهُ
وذلك من تلقاء مثلكَ رائعُ

ووردت في قول حسان بن ثابت ، شاعر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

ما إن مدحتُ محمداً بمقالتي
لكنّ مدحتُ مقالتي بمُحمدٍ.

وانشد ابن بري للحُطيئة يُخاطب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):

تحنن عليَّ هداك المليك فأنَّ لكلِ مقام مقالاً.

فالمقالة لا يعدو معناها اللفظي أنها شيءٌ " يُقال " [٤] وجاء الباحثون والنقاد والأدباء ليضعوا تعريفاً للمقالة . وقد تعدّدت تلك التعاريف ومنها تعريف د . جونسون " نزوة عقلية لا ينبغي ان يكون لها ضابطٌ من نظام ، وهي قطعة لا تجري على نسقٍ معلوم ولم يتم هضمها في نفس كاتبها... وليس الإنشاء المنغم في نظره – من المقالة الأدبية في شيء ، وهذا التعريف إن صدق على المقالة في طورها الاول فهو لا يصدق عليها اليوم بعد أن تفوق كتَّابها في إحكام نسجها وإتقان تأليفها " [٣] ..

ومنها تعريف موري : - " قطعة إنشائية ذات طولٍ معتدلٍ تدور حول موضوعٍ معين أو حول جزء منه " ثم مضى قائلاً : " وكانت في الأصل تعني موضوعاً يحتاج مزيد تهذيب ، ولكنها أصبحت الآن تطلق على أية قطعة إنشائية يختلف أسلوبها بين الإيجاز والاسهاب ضمن مجالها الموضوعي المحدد " [٦] . " والذي نستبينه من هذا التعريف ان المقالة بمرور الايام واختلاف الكُتّاب أصبحت عملاً منظماً يتطلب مزيداً من إحكام الصنعة وضبط التصميم إلا أنه مع هذا ، لا تبلغ مبلغ الكتاب أو البحث الكامل " [٧] .

لقد استمرت التعريفات لهذا الجنس الادبي كما جاء على لسان " ادموندجوس " في بحثه المنشور في دائرة المعارف البريطانية بقوله :- " المقالة باعتبارها فناً من فنون الادب ، هي قطعة انشائية ذات طول معتدل تكتب نثراً ، وتلمّ بالمظاهر الخارجية للموضوع بطريقةٍ سهلةٍ سريعةٍ ، ولا تعنى الا بالناحية التي تمسُ الكاتب عن قرب " [٨] ومن التعريفات السابقة نستنتج تعريفاً يكاد يشملها جميعاً ، وهو أن المقالة الادبية قطعة نثرية محدودة في الطول او الموضوع وتكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق وشرطها الاول ان تكوُّن تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب . " وهذا التعريف ينطبق على المقالة بمعناها الفني الضيق ويحتفظ لها بصفتها التي أرادها لها مونتين حين سماها " محاولة " [٩] ولو مشينا قُدماً مع تطور هذا الفن أو الجنس الأدبي،

لوجدنا بعض الأدباء قد وضعوا في مضامين أو خصائص المقالة عناصر جديدة أعطت للمقالة اسماً جديداً.

حيث نهج بعض الكُتّاب في كتاباتهم المقالية إلى السير بهذا الجنس الأدبي المستقل إلى طريق القصة ، كما نجده عند المنفلوطي مثلاً ، حيث اعتمد في سرده لبعض الحكايات على الأسلوب المقالي معتمداً في ذلك على عناصر الخلق والوصف القصصيين . " لقد اتجه المنفلوطي إذاً الى كتابة المقالة القصصية أي إلى صياغة افكاره وتصعيده مشاعره عن طريق استغلال بعض عناصر الخلق والوصف القصصيين ولكن القيمة الاولى في هذه الكتابة تعزى الى الفكرة أو الشعور وليس الى القصة بما فيها من بناء ونسج " [١٠] وفضلاً على ما تقدم فيما يخص بعض الخصائص التي ظهرت من خلال تطوير الفن المقالي نلحظ وجود خاصية أخرى تتميز بها المقالة القصصية وهو أن طابعها ذو المنحى الرومانسي الذي نلحظه بين اكثر من نص مقالي قصصي ليكون قريباً من الخاطرة الأدبية

والخاطرة كجنس أدبي يُطلق فيه الكاتب العنان لمشاعره وما يختلج في نفسه من أحاسيس ثرةٍ من غير أن يتقيد في ذلك بأي قيدٍ أو بأي شرط فكري يُحدد به كتابته ، ولو أمعنا في القراءة أو الملاحظة للتطورات التي طرأت على المقالة القصصية لتنحو منحى المقالة نجد اضافةً الى اعتمادها على عناصر السرد والوصف خصائص اسلوبية تميزت بها المقالة القصصية منها : " الاسلوب الذي يرتكز على عنصر السرد والوصف او الحوار ، حيث عمد بعض المقاليين الى تصوير الاحداث تصويراً يعتمد على السرد الذاتي إذ يقوم الكاتب برواية الاحداث على لسانه بوصفه بطلها و محورها " [١١] .

المبحث الاول : السرد

قبل التقدم في دراسة مصطلح السرد واساليبه ووسائله لا بد من تحديد دقيق لهذا المصطلح وتحديد عام لوظيفته الفنية في مجال البناء ، وتكشف ألدلاله المعجمية لكلمة سرد عن الوظيفة البنائية لهذا المصطلح " كونه الاداة الاساسية الفاعلة في عملية بناء النص ، فهو اداة لنسج العلاقات بين العناصر الفنية التي يقوم عليها النص القصصي ، سواء أكان ملحمة أم رواية ام قصة قصيرة ، وتتميز تلك الاجناس عن بعضها بوساطة اساليب السرد التي تعتمد عليها ، اضافة الى سماتها الخاصة " [١٢] ولهذا يعد السرد الاداة الفعالة لعملية القص بين الكاتب والمتلقي حسب نوعية النص لان " السرد هو الذي يعتمد عليه في تمييز أنماط ألحكي بشكل أساس " [١٣] وكذلك عُرّف بأنه " نقل الحادثة من صورتها الواقعة الى صورة لغوية " [١٤] " وللسرد تحولات عديدة بالنسبة للكاتب فقد يكون راويا عن

بعد او مشارك في الحديث وذلك كله يدفع بالإحداث الى الامام ويعني النص الادبي" " واكثر تقاليد القصة شيوعاً هو اتخاذها اسلوب الراوي العليم بكل شيء غير ان ابسط تلميح من الكاتب الى كونه عليماً يكفي لمسح وهم الحاضر التخيلي الذي حرص على إيجاده إن هدف الروائي هو إبقاء القارئ غافلاً تماماً عن كون الكاتب موجوداً – حتى عن كونه يقرأ كتاباً ، وهذا الا يتأتى الى نهاية ، ولكن يمكن جعل القارئ مستغرقاً جداً ، وكلما جعلته غافلاً تماماً عما حوله كان نجاحك اكبر " [١٥] ." وبين المؤلف والقارئ يكون النص المتمثل بالسرد " فكل سرد لا بد له من سارد أو راوٍ ،ويكون وسيطاً بين المؤلف والقاريء " [١٦] .

وعندما نقرأ مقالات الزيات القصصية نجد معظمها قد كشف لنا عن علم الكاتب بأغلب الاحداث التي تجري في تلك المقالات ، فهو على ما يبدو بعد قراءة كل مقالة ، كان عالماً بما كان وسيكون ، إلى أنه يقوم بالحديث وانتقاء الشخصيات وترك تلك الشخصيات تُعبر عما حدث لها أو خطر في نفسها مثل قوله في مقالة (ضحية من هذا) ، التي جاء فيها : " كنتُ في مكتبتي الأمس أتحدث إلى قصصية شاعرة جاءت تهدي إليَّ قصة للتقريظ وإلى قصصي كاتب جاء يُقدم إليَّ إقصوصة للنشر ، وكان من مطارحات الحديث أن تكلمنا في نصيب الخيال والواقع ، من قصة الأدبية ، وأقصوصة الأديب ، وجرى على الألسنة الثلاثة كلامٌ في روعة الواقع المحض وزخرفة الفن البارع وجاذبية الخيال الممكن ، وكأنَّما كان يدافع عن الحقيقة مدافع من وراء الغيب ، فادخل علينا فتى ذاوي الفتوة ضارع الجسم ألف القدر من شقائه مأساة لا يحتاج الكاتب في سردها الى تلفيق خياله او تزويق فنه " [١٧] . لقد هيأ الكاتب هنا الأجواء والاسباب التي تؤثر بعضها ببعض من اجل نتيجة رسمها الكاتب بأسلوب سائغ لذيذ من خلال الربط بين الخيال والواقع اللذان اتحد معهما شخص جاء يؤكد أهمية الخيال وتوافقه مع الحقيقة في كثير من الاحيان عندما يتحّول الى حقيقة غير ملبوس فيها ، ويبقى الكاتب في هذه المقالة راوٍ عن بُعدٍ لا يشارك في حدث ، مختصراً ما كان من حوادث عاشها الفتى ، عارضاً ما كان لأبيه من مالٍ وحالة كما في قوله : " أخذ يستريح الينا بذكر ما كابد من باطن الهمِّ ومكنون الأسى فأخذت الكاتبة عبرةً سالت على الخد ، وأخذ الكاتب يعجب ان يبلغ البؤس بالناس الى هذا الحد ، وتركاً إليَّ أن أقصَّ عليك فصلاً من هذه الرواية " [١٨] .

لقد أغنى الكاتب القارئ عن حالة البؤس هنا من غير شرح أو تعبير إنما أوردها باختصارٍ معبر على الرغم من طولها من خلال إعجاب الكاتب ومن خلال تنهنه الكاتبة بعبرةٍ سالت على الخد ، ونلحظ الإيجاز يستمر ولاسيما في قوله : " وفي عشيةٍ وضحاها فقدت الأسرة المدللة وسيلتها للعيش ومكانتها في المجتمع فلم يعدُ لها بعد الله عائل ولا وائل ، غير هذا الشاب وشهادة يحملها عليها طابع الحكومة

وخاتم وزير المعارف " [١٩] . وفي مقالة اخرى نجد الكاتب فيها مشارك يروي الإحداث من الخلف وهو عالم ببعض الشيء وجاهلٌ بالبعض الآخر فنجد الكاتب في مقالة (على الشاطئ) واقفاً في وصفه وتأملاته منذ البداية كما جاء فيها " الشاطئ شاطئ استانلي واليوم يوم الأحد ، والطرقات الجميلة الصاعدة الى هذه الخليج البهيج تصب فيه أنماط من الناس في أنماط من اللباس وكلهم في سن أهل الجنة ! وكنت في هذا التيار الحار المتدفق كأنني السمكة الغريبة تفقد الاختيار وتخشى كل شيء ! هبطت مع الهابطين الى هذا الشاطئ على سلم من سلالمه ، ثم أرسلت فيه عيني فاذا هو مستدير على صدر الماء استدارة الهلاّل البازغ على صدر السماء وإذا النجوم الزواهر من الإنس تختلج في هذا الهلال ، اختلاج العواطف الرقيقة تتماسُّ في رفقٍ ثم تتفرج بسهولة " [٢٠] ، وقد يكون في نسق السرد فجوات وصفيه يعمد اليها الكاتب تكون بمثابة محطة استراحة للقارئ " وهي محطة تأملية تتخذ شكل وقفة وصفية أو تحليل لنفسية الشخصيات أو استطراد من أي نوع وتكون الغاية من الوقف هي تعليق زمن الاحداث في الوقف الذي يواصل فيه الخطاب سيره على هامش القصة " [٢١]. وكذلك " أن الوصف باعتباره ينسجم مع زمن التأمل الذي يولد زمن الشيء الموصوف في تزامنيته المحاقب لزمنية الرؤية ، يؤكد ان الوصف يقدم زمناً ميتاً داخل نطاق السرد .أي أنه يشكل توقفاً في مسيرة تنامي وتدفق الإحداث " [٢٢] . ويبقى الكاتب واصفاً كل ما رآه وما سيراه محاولاً شد انتباه القارئ الى أنه ثمة اختلاف سيحدث في هذه البيئة وسط هذا المجتمع البشري ،ويوقف الكاتب الزمن في تأملاته ، فلا يشير إلى وقت مرَّ ولا إلى حدث يؤدي عودةٌ إلى الوراء إنما نجد استمرار الوصف والتحليل من أجل إعطاء مبررات بيئية عن شيء سيكون لان علاقة السرد بالوصف " تتسم بشيء من التعقيد ، ويتعلق الأمر بالوصف المنصب على الشخصيات والأشياء والأماكن التي تنتمي جميعا الى سيرورة السرد الروائي ، فكلما هم السارد بتقديم شخصية جديدة أو مكان جديد ، سيكون محوى لسلسة من الأحداث، فان السرد يفسح المجال أمام العملية الوصفية لأنه لا بد من تقديم المظهر الخارجي للشخصية ، وطوبوغرافية المكان وسمات الاشياء التابعة داخله او حواليه ، وهي عملية تسبق عادة بتمهيد يطلع به السرد ، مهيئاً القارئ لتلقي الوصف وفاسحاً المجال امام الوصف الذي يعلن عن نفسه وبذلك يكون الوصف منتمياً للسرد ومواجهاً من طرفه بواسطة الموصوف (الشيء أو المكان او الشخصية) الذي يستقبل التفاصيل الوصفية " [٢٣] . كما في قوله : " أكشاك أنيقة الصنع والوضع تدرجت طبقاتها الثلاث على حضن الشاطئ ومضلات شتى قد رُكزت هنا وهناك في منحدر الساحل ، وجمع حاشد عارٍ كسوق الرقيق في ألف ليلة وليلة قد بعثر أمام الاكشاك وتحت المضلات وفوق الرمال وبين المياه

وصراع عنيف لذيذ بين أفواج البر وأمواج البحر ..." [٢٤] ، من خلال هذا الوصف الذي قدمه لنا الكاتب في هذه المقالة القصصية وتأكيده على جانب النساء ، وتشبيهه لحالة تلك العاريات بسوق الرقيق ، يظهر صدى شك بأنه سوف يصطدم مع أحداهنّ .

وكذلك جاءت إشارته إلى سوق الرقيق بأن الحالة لا عجب فيها في دولةٍ استبدلت بيع الرقيق بعرض النساء العاريات ، عبر هذه المقدمات التي مهد من خلالها طريقاً للدخول في معرض حديثه مع شخصية من شخصيات واجراء الحوار الذي يكون الكاتب احد طرفيه أي انتقال صيغة السرد من الموضوعية البحتة إلى الذاتية الفعّالة جميعاً ومنها إلى حوارٍ أو مشهد " ويقوم المشهد اساساً على الحوار المعبر عنه لغوياً والموزع الى ردود (repliques) متناوبة كما هو مألوف في النصوص الدرامية " [٢٥] ، كما في قوله : " كنت ألقي على نفسي هذا السؤال حين جرجر البحر موجاته الضخام إلى أعلى الساحل فجريت الى فوق أتقي هذا المد المفاجئ ، فاذا بي واقف إزاء مظلة جميلة منعزلة قد انبطحت تحتها فتاة ناهد لم تقع العين منذ الصباح على اكمل منها صورة ، وكان ذعر السائرين من هجمة البحر قد لفتها لتنظر ، فلما وقع بصرها عليَّ نهضت نهضة الظبي الفزع تحيي استاذها القديم !

أوه فلانة ؟

- نعم ! ويسرني ان اراك يا استاذي بعد خمس سنين .
- هل انتِ وحدك هنا ؟
- كلا بل معي أخي ... وقد أتعبه صراع الأمواج الثائرة فذهب " [٢٦]

ويستمر عرض الكاتب لما جرى من حديث بينه وبين شخصيته متحولاً هذا الحوار الى مشهد يلقي هو الاسئلة وشخصيته تجيب أو بالعكس متدرجاً الى نتيجة حتمية ، وفي مقالةٍ اخرى يقوم الكاتب بتقديم شخصيات اخرى وتقوم هذه الشخصيات بالاختصار أو الخلاصة " اذ ان دور التلخيص هو المرور السريع على فترات زمنية لا يرى المؤلف انها جديرة باهتمام القارئ " [٢٧] ،كما في قوله " ان الغلام كان عمره إثني عشر ربيعاً حينما صحب خاله الى الأستانة والأستانة يومئذ كانت منتجع الخواطر ومهوى القلوب الطامعة الى السطوة او الثروة او العلم " [٢٨] ، اذ نلحظ الاختصار الكبير الذي قدمه الزيات على لسان شخصيته فلا نجد شيئاً عن حياة ذلك الشاب عندما كان طفلاً او صبياً .

تقنيا السرد .

يمكن تعريف الوصف بأنه : " ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات"[٢٩] . وطبقاً لهذا التعريف يمكننا معرفة الوصف على أنه وسيلة كشف

أحوال وهيئات الشيء الموصوف وبوصفه وسيلة سرد تتبين بصورة واضحة في فن الرواية أو المقالة ،أو القصة ، فهو يخدم بناء الشخصية وله اثر مباشر في تطور الحدث . وهناك تعريفات أخرى للوصف منها تعريف قُدامة بن جعفر في كتابة نقد الشعر : " الوصفُ إنما هو ذكر الشيء كما فيه من الاحوال والهيئات ولمّا كان اكثر وصف الشعراء إنما يقع على الاشياء المركبة من ضروب المعاني كان احسنهم من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها ثم اظهرها فيه ، وأولاها حتى يحكيه بشعره ، ويمثله للحسن بنعته " [٣٠] . إن العلاقة بين الوصف والسرد علاقة تكامل بنائي فلا يمكن أن يكون هناك سرد من غير وصف ولا يمكن العكس . اذ يعد الوصف وسيلة سردية ، تقوم بوظيفة بناء مهمة في سياق النص وتستمد قوتها من اسلوب السرد الذي يوجهها ويوظفها توظيفاً خلاقاً تكون معه ذات شأن في بناء النصوص الادبية من مقالةٍ ، أو قصة ، أو رواية . وفي مقالات الزيات القصصية نجد الوصف قد وضع أو جاء في بعضها تفسيراً وفي البعض الآخر جاء لغرض الزخرفة الجمالية .

أما التفسيرية فهي وظيفة جديدة في الوصف تفسر وضع الشخصية وارتباطها بالإحداث عن طريق " مظاهر الحياة من مدن ومنازل وأثاث وأدوات وملابس الخ ... تُذكر لأنها تكشف عن حياة الشخصية النفسية وتشير الى مزاجها وطبعها ، وأصبح الوصف عنصراً له دلالة خاصة واكتسب قيمة جمالية حقه ، ويؤكد فلوبير أن الوصف لا يأتي بلامبرر بل إن كل مقطع من مقاطعه يخدم بناء الشخصية وله اثر مباشر أو غير مباشر في تطور الحدث وهكذا تلتحم كل العناصر المكوَّنة للنص الروائي وتكتمل الوحدة العضوية للعمل وتصبح الاجزاء المختلفة مرايا تعكس بعضها لتقديم الصورة المجسمة " [٣١] ، وخير مثال على الوظيفة التفسيرية قول الزيات في مقالة (قصة النمل الابيض) : " وما هي الا دمدمه كعزيف الجن حتى غاست السماء بالنمل وسالت الأرض بالحشرات وأخذت هذه الطير الأبابيل ، ترمي الناس بحجارة من سجيل ولم يُغن عن العزل الأبرياء دعس الفعال ، وفي دفع هذه النمال فاستمر القتل وأثخنت الجراح ، وانتشر النهب ، وفشا الخراب ، وكاد النصر المؤقت يتم لهذه الحشرة الباغية لولا أن صاح من الجانب الغربي صائح يقول وفي يده بوقه وعلى رأسه بنوده " يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده " فلم تبق نملة سمعت هذا الصوت من ذلك البوق إلا دخلت مذعورة في شق من الشقوق ، وهيهات ان يبعث الله من في القبور الا يوم ينفخ اسرافيل في الصور ! " [٣٢] ، فمن غير اغتراب أو تعجب أو استفهام عما جاء به الزيات من وصف مستعار من عالم الحشرات والطيور في تمثيل معركة ما بين الطيور والنمل وصنوف أخرى من الحشرات تجعل القارئ ومن غير كلل يضع تفسيراً لما قصده ، الكاتب ، من

وراء هذا الوصف ، من أنه لا اختلاف بين عالمي الحيوان والإنسان أو الحشرات والإنسان ففي كلا العالمين نجد القوي متسلط على الضعيف فالعلاقة بين الطيور والنمل الطائر أو غير الطائر هي علاقة قوي وضعيف ، علاقة جائع وشبعان ويبقى هذا القوي بتسلطه وجبروته حتى يجد من يقابله ويقف بوجهه ، فعندما يضع الكاتب الطير الأبابيل في جهة العدو فهو وصف لمن امتلك السماء والأرض بقوته وكثرته على من انتشر في الأرض باحثاً عن وسيلة عيش تكفيه لمجابهة الحياة وهو غني عن مجابهة من هو أقوى منه ، لقد خدم هذا الوصف وظيفة التفسير من غير جهد وتعليق ، وبحث عن سبب ، فالعلاقة واضحة في هذا النص الوصفي لما جرى بين الطيور والنمل من مجابهة .

اما الوظيفة الثانية في مقالات الزيات فهو الوظيفة الزخرفية ، ويرى النقاد ان هذه الوظيفة ليست مجردة وتزيينه فقط اذ تقول الناقدة سيزا قاسم في كتابها بناء الرواية : " النظر الى الوصف على انه زخرف من الزخارف اخلَّ بقيمته حيث ان الوصف قد يحمل معاني ودلالات أبعد من مجرد تمثيل الاشياء " [٣٣] ، ومن أمثلة الوظيفية الزخرفية في مقالات الزيات القصصية ما جاء في مقال (الغرام الاول : " وللقرية في رمضان سحر يغلب على القوي الحاسة فتغرق في فيض من الشعور الرضي المبهم فلا تدري اهو حلاوة الذكرى الخاطرة أم نشوة الطبيعة الشاعرة أم لذة الانس الخالص أم جمال الايمان .. المشترك ، وأحب شيء الى نفسي هناك أن اخرج انا وصديقي .. العمدة إلى ملاعب الطفولة ومسارح الصبا ، فأستنشي عبير .. الذكريات الجميلة ، واستوحي آثار الذاهبين الأعزة ، مشينا على .. السعادة نتقل الخطو الرفيق على أسطار مشرقة من اديم الثرى .. الحبيب ، فهنا نتذكر مجلساً من مجالس الآباء ، وهناكَ نتمثل .. ملعباً من ملاعب الإخوة ، وثمت نتخطر موقفاً من مواقف الأحبة .. حتى انتهينا الى مكان ظليل جميل في مظاهر القرية فجلسنا فيه نقول كان وكان ، ونتمتع بمل العين ،والصدر ، والنفس من صفاء الجو ورخاء النسيم واشعاع البيئة ، وفي فترة من فترات الصمت العميق الحالم ارسل صديقي نظره الى مورد الماشية من الترعة .. ثم ردة عليّ، وفي عينه الساجية جميع معاني التعجب " [٣٤] .

وفي المقالة نفسها نجد وصفا آخر يضفي على النص حاسة جمالية أخرى في قوله : " كنت أقضي عطلة الدراسة كل صيف في القرية .. فلا أكاد انطلق من قيود الحياة في القاهرة حتى أعود إلى أحضان .. الطبيعة الرءوم : أتوخى أفياء الشجر كالطير ، وأحوّم بين الحقول .. كالفراش وأروي مشاعري الظامئة من الجمال الحلال في .. السماء ، والماء ، والهواء ، وصور الناس ، ووجوه الأرض " [٣٥] . وينتقل الكاتب في هذ المقالة من خلال عملية الوصف ،

انتقالة أخرى وضعها في خدمة القص أي ان الغرض يكون تفسيراً لا جمالياً من خلال قوله : " فضحكت وضحكت ثم أمالت رأسها الصغير على ركبتي ووضعت كفي على وجنتيها ، وأناملي على خديها .. وطفقت أنظر من هذا القرب إلى هذا الجمال الذي شغفني فهذه هي العين التي ترسل السحر حيث ترسل النظر وهذا هو الثغر الذي .. يغتر عن المفاتن كما يغتر عن الدرر ،وهذا كله المحيا الذي سيشرق .. من قلبي الناشئ إشراق الامل ويتحدث في نفسي الفضة حديث الصبابة واردت أن احجر تيار الهوى عن الوضع الذي نحن فيه .. فملأت القطارة وهممت أن أفتح عينيها ولكنها نهظت مذعورة ..وهي تستضحك وتقول : لا : لا ، عيني سليمة ، ما فيش لزوم " [٣٦] ، نجد سبباً واضحاً من خلال هذا النص لما أورده العاشق من صفات حبيبته التي طالما كانت بعيدة عنه ويتمنى ان يجالسها ويتكلم معها وينظر اليها عن قرب ولكن العادات والتقاليد الصارمة في القرية .. أودت دون ذلك ، وعندما لجأت حبيبته الى طريقة فذة للقاء دون إخلال وإعلان عن علاقتهما اهتدت إلى ما كان لدى أهل الحبيب . من صيد ليه بسيطة جعلتها سبباً للمواجهة من غير أن يكون هناك .. أي مرض في عينها يحتاج الى علاج ، فقد قدَّم الكاتب الاسباب من خلال حوار شخصياته في وصف هذا المشهد ثم جاءت اسباب هذه الجلسة القصيرة ما بين العاشقين الى هداية العاشقين .. في الالتقاء ، وفي مقالة على الشاطئ، نجد الزيات يصف أحد الشواطئ من اجل زخرفة وتزيين مقالته هذه واظهارها بأحسن صورة وكأنها قد رسمت رسماً لا كتابة " أكشاك أنيقة .. الصنع والوضع تدرجت طبقاتها الثلاث على حضن الشاطئ.. ومظلات شتى الالوان قد ركزت هنا وهناك .. في منحدر الساحل وجمع حاشد عارٍ كسوق الرقيق في ألف ليلة وليلة .. قد بعثر أمام الأكشاك وتحت المضلات وفوقً الرمال وبين المياه .. وصراع لذيد عنيف بين أفواج البر وأمواج البحر ، تتخلله صيحات .. وضحكات كرنين الفضة المصفاة وأحاديث كهمس الأوتار " [٣٧] .

فنلحظ عملية الوصف هنا تبدو من جُل عمل الكاتب من اجل إظهار صفة جمالية تؤدي بفكر وخيال القارئ إلى حيث اراد الكاتب ، فمتى استطاع .. الكاتب ان ينجح في عملية الوصف استطاع ان ينقل اكبر عدد من القراء معه وبالتالي جعلهم يتخيلون ويستنتجون من هذا الخيال كل حسب مذهبه في الحياة ، ولكن وظيفة الوصف الجمالية هنا لم تكن في خدمة الزخرفة اللفظية أنما خدمة القيمة الفنية للقارئ .

أما الحوار فهو من الوسائل التي اعتمد عليها الزيات في معظم مقالاته وقد جاء الحوار عنده ليبين مستوى الشخصية الثقافي والاجتماعي والنفسي ويكشف عن الصراع الدائم بين تلك الشخصيات وتقديمها بصيغة مباشرة للقارئ

وبذلك يعطي الحيوية في تقديم الحدث " ومن مقومات الحيوية التي يتيح هذا الأسلوب تحقيقها ذلك الإحساس بالحضور الذي يولده كون الكتابة بصيغة المضارع ، مما يكسبها الفورية التي تعوضها عما تفقده لدى معظم الشعراء من استخدام أشكال للتعبير وتداعيات ورموز خاصة تضيق عنها الإفهام بعامه ، مما يعيق سهولة التماهي مع الشخصيات الرئيسية " (٣٨) .

وهنا نجد الحوار وسيلة لإيصال الدلالات النصية لذهن المتلقي بمقاطع معدودة دون الإسهاب في الجمل الطويلة أو النصوص الإنشائية التي لا تخدم بناء النص الادبي اذ يقول توفيق الحكيم : " الحوار كالشعر - ..... طبيعي يميل اليه أولئك الذين يميلون الى الاقتضاب .. ذلك ان الد أعداء الحوار الاطالة والحشو .ولا تزال بعض الآداب الأوربية تسمي المؤلف المسرحي شاعراً ، ولو كان كاتباً مسرحياً " (٣٩) .

ويعطي الحوار السببية المقنعة لتوالي الإحداث " ويسهم الحوار في الكشف عن كوامن الشخصيات ،كما يشارك السرد في الابانة عن ما هية الأحداث " (٤٠) .عند حديثنا عن وظيفة الحوار او بالاحرى وظائف الحوار نجد كما لاحظنا سابقاً من خلال تعريفه ومعرفة وظائفه كما يبدو واضحاً في مقالة (بين الدين والحب) : " مستحيل :مستحيل ! لقد أحببتك حتى لم يعد لي هوى إلا اليك ولا أفكر إلا فيك ، ولكنني لا أستطيع الزواج منك لأني مسيحية متعصبة وأنت مسلم محافظ ولا سبيل الى أن نتزوج كما تزوج أبي وأمي ، فإني وأنت .. صريحان ، وانا أحتقر دينك بقدر ما احترمك وأبغض نبيك بقدر ما أحبك ..

- ومتى دنت بالنصرانية يا ميمي وأنا وأبوك لا نعرفك الا مسلمة ؟ .
- دنت بها منذ رحلت الى لندن ، وجعلت الامر بيني وبين الله متى .. اخبرني أمي بخطبتك فلم أجد بُداً من إعلانه.
- وهل درست الاسلام يا ميمي قبل أن ترتدي عنه ؟ .
- درسته على الرهبان في مصر وفي انجلترا وعلمت عنه ما اشفق على وجدانك من سماعه .
- لقد درسته على خصومة ومنكريه فكيف يسوغ في علقك ان يكون كلام الخصم على الخصم حجة .
- وعلى من كنت تريد أن ادرسه ؟ أعلى أبي وما سمعته مرة يذكر الله ولا رأيته يوماً يدخل المسجد ؟ أم على أمي وقد كانت مسيحية لا تؤمن فأصبحت مسلمة ؟ لا تعتقد ؟ وهل كان في مقدوري ان أغالبه الفطرة وفي نفسي الى الله شوق .. نازع لا أملك الصبر عليه ، متى رأيت السبيل إليه ؟ .

- أنا كفيل بأن اعلمك ما تجهلين من حقيقة الإسلام ، فإن اقتنعتك .. تزوجتك ، وألا ونرجُ الأمر بيني وبينك الى الصرامة فإنك لا تتزوجينني مسلماً وأنا لا أتزوجك مسيحية [٤١] .

من خلال هذا الحوار الذي عرضه الزيات على لسان عاشقين احدهما مسلم والأخر مسيحي نجد الاختلاف في وجهتي النظر في لحظة ما أدت الى افتراق العاشقين وذلك كما يبدو واضحاً بسبب جهل الطرفين ،كل يجهل الشيء الكثير عن دينه ولم يعرض للطرف الأخر شيء عن ذلك الدين ، ومقوماته ، وأسباب انتشاره ، وبالتالي انقياد احد الطرفين للطرف الآخر عند بلوغ الحجة مبلغ الرفض للطرف الآخر و وقد كشف لنا الحوار عن مدى تفكك عائلة العاشقة وللاسباب نفسها ، حيث أن الزوجة قد أسلمت كرهاً لكيلا تُحرم الإرث من قبل زوجها وأما الزوج فكان مُسلماً بالاسم فقط فلم يعرض يوماً كما يبدو ظاهراً من المحاججة بين العاشقين للاسلام يوماً من الايام ، لقد نمّى هذا الحوار ، الحدث وأوصله الى الذروة فتأزم الامر على العاشقين ومن ثم في نهاية المطاف يسعى ذلك العاشق الى جلب ما يثبت حقيقة ما يقوله وهي على خطأ من غير جدوى ، فلا يجد الكتاب المطلوب من اجل اقناع حبيبته ، وهو كتاب عن الدين الاسلامي .

وخلاصة هذا الحوار هو اكتشاف الشخصيات بعضها لبعض ومعرفة كل شخصية أبعاد ومقومات ودلالات الشخصية الاخرى " فهذا الحوار ، قد حقق بصدق ، هدفاً فنياً كبيراً وهو كونه معياراً نفسياً دقيقاً يستطيع ان يصنف نفسيات الشخصيات الفنية بذكاء وحذق " [٤٢] ، وعلى هذا النحو نجد في مقالة أخرى حوار يكشف ويحدد رؤيا وابعاد هذه الشخصيات ، وعلى سبيل المثال ما جاء في مقالة(صديق الكلاب) : " وقع في .. نفس الوحيد الحزين ان يتزوج ليعيد الى سجل الوجود اسم اسرته فاقترحت عليه جارة له عجوز ، أن تخطب اليه فتاة يقولون ان بينها وبين بني فلان عاطفة رحم ، ويؤكدون أنها تنزع الى عرق كريم لطبعها المهذب وجمالها المحتشم فاطمأن قلب الخاطب الى رأي الخاطبة ، واختلفت العجوز بينه وبين وليّ الفتاة حتى تم الوفاق وسّمي الصداق ، وعيّنت ليلة الزفاف ، ... زُفت العروس الى وزجها فنبهرة لما رأى من جمال ، وسمه من ادب ، فاشرف في وجهه السرور وحمد الله على حسن توفيقه ، ثم انقضى شهر العسل على خير ما يجد من زوجة ، وفي ذات ليلة تجاذب الزوجان اطراف السمر وشققا بينهما الحديث حتى أفضى الى علاقتها بوليها فلان (بك) فأحب الزوج أن يعرف درجة القرابة بينهما فغضّت الفتاة من طرفها وشاعت حمرة الخجل في وجهها وقالت في صوتٍ خافت متهافت من الخزي والخوف : الحقيقة ان ليس بيني وبين الرجل قرابة ! إنما هو نبيل محسن آواني ورباني بعدما فجعني البينُ في أخي والموت في أبي وأنا يومئذٍ في حدود الثانية عشرة ، ثم تتابعت

الاسئلة من الزوج وتسارعت الاجوبة من الزوجة وكان كلما انزحاح عن خبايا الغيب حجاب امتقع لونه واقشعر بدنه واشتد وجيب قلبه ، وكانت هي كلما رأت منه ذلك نسبته إلى انخداعه في أصلها فمضت تفصيل المأساة وتصور الفاجعة بالكلام والدمع عسى ان تعطف قلبه على مصابها فلا يفكر في طلاقها وعذابها ولكنها لم تكد تلمس الحجاب الاخير حتى رأت زوجها قد قفَّ شعره وار تعدت أطرافه ثم انفجر صارخاً يقول : واويلتاه ! لقد تزوجت أختي ! ثم خرَّ مغشياً عليه ، فلما عاد اليه بعض رشده نظر الى اخته فوجدها فاقدة الوعي ، فتركها وابتدر الباب وخرج مسرعاً لا يلوي على شيء ولا يلتفت الى احد [٤٣] ، فمن خلال ما قدمه الكاتب عن ذلك الشخص المسكين وعن طريق الحوار بينه وبين تلك الزوجة البائسة أنكشف لنا ما حدث لذلك الزوج الهائم على وجهه ، لقد وظف الحوار هنا في وحدة الموضوع وقد كشف عن افكار الشخصيات وعواطفها من خلال تعبيرها عما حدث لها في الزمن الماضي ولاسيما على لسان تلك الشخصية ، ولقد كشف الحوار عن الذي حدث لأهل ذلك الزوج الطريد والذي خمن أنه من خلال زواجه سيعوض ما فقده من أهل وأحباب و لقد جسد الحوار في هذه المقالة القصصية وظيفة بنائية عن طريق تسلسل الاحداث الصغيرة ودمجها بالحدث الكبير وهو فقدان الاهل وقد كشف الحوار كذلك ما فعله الزمان باهل ذلك الشخص التائه في ظلام الايام ، لقد كانت اذن وظيفة الحوار هنا هي التفسير لما كان في الماضي وما هو كائن ، نلحظ ان الحوار هنا هو داخلي ، إذ عبّرت الشخصيات هنا عما عاشته في الماضي من الأزمات تأثير ذلك في نفسيهما ، وقد اندمج تعبير كل الشخصيات ليكونّ وحدة متجهة نحو حقيقة واحدة وهو أن الزوج والزوجة هما أخوان فرّقت بينهما الايام وعادت لتجمع بينهما على اسوأ حال وأعظم شنيعة يرتكبها الانسان ضد إنسانيته وضد الكتب والأديان السماوية ، ألا أن ارتكاب هذا الخطأ لم يكن متقصداً وإنما كان يجهله الطرفان ولكن مجرى الحديث أو الحوار ادى الى كشف ما كان غامضاً بينهما ، وعلى نمط مماثل من الحواراً نجد في مقالات الزيات القصصية حوار يكون فيه الزيات احد الجوانب المتحاورة ، فنجده يدير الحوار من اجل مساعدته في بناء رسم كامل للشخصية المتحاورة معها والكشف عن أفكار وأراء تلك الشخصية وعواطفها وبيئتها استناداً الى ما تعكسه تلك المحاورة من بيئة اجتماعية متفاعلة ، وخير ما يؤكد ذلك هو ايراد ذلك الحوار الذي جاء في مقالة (على الشاطئ) : " لم تدعني الآنسة في ذكر أي إلا ريثما ردت التحية على فتاة في مثل حالها وجمالها ، كانت تسير في رفقة شاب شديد السمرة ، غطى كتفه شعر كثيف كصوف الخروف .

- هذه ابنة فلان وهذا الذي منها اخوها ، وهذه ابنة فلان وهذا ابن عمها وهذه المضطجعة في الشمس بنت فلان ومحادثها صديق من اصدقاء أخيها فقلت :- لولا علمك يا عقيلة لحسبت هؤلاء جميعاً أجانب !
- وما الذي يحملك على هذا الحسبان ؟
- صيف الفقر واكتناز اللحم واتساع الحرية .
- ذلك من اثر الرقص والرياضة . ستكتب ولا شك عن استانلي شيئاً وفي الرصانة .
- وهل قرأت ما كتب الكاتب عنه ؟
- قرأته ولم أسفه ، لأنه شديد المبالغة سطحي النظر ، وأي بأس في أن تمتع المصرية جسمها كله بأشعة الشمس وماء البحر كالغربية .
- لا بأس ، ولكني اظنها تدرك ذلك كله في شاطئ خاص وفي لباس مناسب " (٤٤) إنّ من يقرأ هذا الحوار ولو مرة واحدة يكشف اشياء كثيرة وخلال فترة ليست طويلة ، فنجد الشخصيات المتواجدة على هذا الشاطئ تتكون منهم نسبة من الشباب والشابات العرب ، لقد اندمجت تلك الشخصيات مع ما هو موجود في البيئة التي جاؤا إليها من اجل قضاء عطلة دراسية أو استراحة عمل معين وكذلك كشف الحوار مع تلك الطالبة للزيات أن يرى الحقيقة كما هي وأن يعبر عما جاء في فكره من وجهات نظر وأراء نقدية عما لاحظه وكذلك نلحظ ان الإحداث قد تم بناؤها مع ذلك الحوار من خلال معرفة المكان والزمان اللذين جرى بهما الحوار متسلسلاً ،ونلحظ كذلك أن الحوار كان خارجياً استناداً إلى ما يرونه أمامهم من أشخاص وحوادث مما يؤدي الى ردود أفعال تلك الشخصيات .

المبحث الثاني : الشخصيات

وردت الشخصيات على نحو عام في مقالات الزيات القصصية من الطبقة الفقيرة التي ارتبط او تعامل معها بصورٍ وأشكال مختلفة ، إما مباشرة عن طريق التماس والتعامل اليومي ، وإما بصيغةً الاستماع الى ما يأتي من حديثٍ بين من كان يجالسهم من الكُتّاب ، أو الأدباء ، أو الفقهاء ، أو عامة الناس . وخير مثال على تلك الحالات التي روى عنها الزيات من خلال استماعه الى إحدى الشخصيات التي عايشت وشاهدت حوادث أثرت في الكثير من الناس مثل قوله على لسان متكلم ينقل له حالة مريرة انقضّت على احد الأشخاص الفقراء وحولت حالته من حالٍ إلى حال في مقالة (يا إنسان أين الإحسان) التي جاء فيها :- " طرابيش في حيٍ من إحياء القاهرة كان يعيش من فضل الله وربح الحرفة في نعمةٍ سابغةٍ ، كان رحب الدكان والصدر يجلس عنده سراه الحي فيتحادثون

ويتنادرون ويفضي بعضهم الى بعضٍ أسرار البيوت وأخبار الصحف " [٤٥] وعلى نحوٍ تصويري مشوق نلحظ استمرار ذكره المقالة لا أسماء هذه والتي هي امتداد واستمرار للشخصية الاولى في قوله : " فمات ولده الوحيد في السنة الثالثة من كلية الطب وتوفي اخوه البار وكان موظفاً في ادارة القرعة وتأيمت اخته الولود فلاذت بحماه ، ووجد الداء في جسمه الواهن المنحل مجالاً واستشرى ورأف الله به ان يعاني الألم في نفسه وفي أهله طويلاً فتوفاه ، وبقيت بعده زوجته ، وأختهُ المقطوعة وابنتاه العانستان " [٤٦] ، وقد ارود عند حديثة عن شخصيات مقالاته الإبعاد التي انغرست في تلك الشخصيات وكان جُلّ اهتمامه على البعد الاجتماعي في الدرجة الاولى وثمة اهتمام بالناحية النفسية التي تتغلل لمجرد إحساس تصويري محض الى فعلٍ واقع يُثير إحساسات وانفعالات القارئ " الأنها تصور حياة افراد عاديين يشاطرهم القارئ في اهتماماتهم وهمومهم وطموحاتهم وأسرارهم وخفاياهم ولعل تعلق القارىء وفضوله بشخوص العمل القصصي ينبع من اننا نتغلغل في حياة اولئك الشخوص تغلغلاً لا تضاهيه معرفتنا العادية بالناس الذين نعرفهم حولنا ، ففي حياتنا اليومية نعرف عدداً كبيراً من النماذج البشرية من خلال احتكاكنا المباشر معهم ، اما حياتهم الخاصة وعواطفهم الحقيقية ونوازعهم الدفينة وتعقيدات شخصياتهم بكل ابعادها النفسية والفكرية والاجتماعية فانها بعيدة نسبياً عن معرفتنا " [٤٧] ، كما ورد في المقالة التي حملت عنواناً يكفي ذكره شاهداً على رسم الحالة النفسية التي يعيشها بطلها ، وهي مقالة (ضحية من هذا ؟) فجاء فيها : " فكان الفتى كلما سمع برجل من رجال النفوذ قصدهُ ، وقص عليه قصصه فلا يكاد الرجل العظيم يعلم ان له أخوان في غيسان الشباب ، وأماً لا تزال في ربيع العمر ، حتى تحوم نفسه على الخدر الذليل فتثور الحمية بالفتى فلا يجد لها متنفساً الا البكاء ، والاختفاء " [٤٨] ، وكانت للشخصيات النامية دور فاعل في معرض مقالات الزيات القصصية لأن الشخصية النامية لها شبكة من العلاقات مع كل الشخصيات داخل النص الادبي وهي علاقة تفاعلية وليست جامدة كما في الشخصية الثابتة او المسطحة وهي ذات علاقات افقية وعمودية نسجها المؤلف بعناية فائقة وبتصميم سابق " بهذا نستطيع ان نقول ، بأن القصاص الجيد هو الذي يحاول اعطاء شخصياته الفرص المتكافئة ، للظهور على مسرح القصة ومن ثم يتركها تنمو لوحدها ،نمواً فنياً كاملاً ، على حد تعبير الناقد (فيليس بوتوم) ، ومن ثم ، يتبع الحدث الشخصية ، في التدرج النموي الى ان يكتمل الحدث ، بعد ان تكون الشخصية قد اكتملت النمو الفني " [٤٩] ، كما ورد في احداها ، وهي (ضحية من هذا ؟) " وكان هذا الفتى وهو بكر أبيه قد نجح في امتحان البكلوريا بقسمها العلمي حين نزلت بهذا التاجر

المغرور علة فادحة ،وأعان المريض العلة على نفسه بما انكشف له من سوء الحال وظلام المستقبل فقضت عليه " [٥٠] .

ففي هذه الفقرة نلحظ وجود الابن مكان أبيه ؟ ، فالامر كما يبدو واضحاً لم يكن نتيجة مباشرة ، وإنما كان نتيجة مرور ذلك الابن بمراحل مختلفة في حياته ، سواء على مستوى الاسرة ، أم على مستوى الوضع العام الذي عاش فيه ذلك الفتى ، من حياة اجتماعية وطلابية متدرجاً الى ان اصبح فتى يحمل شهادة ، ومن الشخصيات التي تتجسد فيها صفات الشخص المنتمى الى الطبقة الفقيرة في مقالات الزيات ، شخصية صديق الكلاب ، الذي جاء اسمه عنواناً لأحدى تلك المقالات مثل قوله : " ان الغلام كان عمره اثني عشر ربيعاً حينما صحب خاله الى الأستانة ، والأستانة يومئذٍ كانت منتجع الخواطر ومهوى القلوب ... فهل كانت هجرته الى دار الخلافة تثقيفاً لنفسه أو تخفيفاً عن ابيه أو مساعدة لخاله ... ثم اندفع في غمار المدينة الصاخبة ...يداور الامور ويلتمس المكاسب ... كان الغريب النازح يهاجم الأخطار في كل فج ، ويصارع الأقدار في كل لج وكل همه أن يجمع من المال ما يضمن له ولاسرته خفض العيش في ظلال بغداد الجميلة " [٥١] . كما كان للشخصيات من الطبقتين الأخيريين نصيب في مقالات الزيات ، مثل الطبقة الارستقراطية التي مثلت دور الجشع والتسلط والاهانة للطبقة الفقيرة مثل قوله في مقالة (منطق الغنى) التي جاء فيها : " هذا الرجل ينزع بطبعه منزع الارستقراطيين في نمط العيش ، أسلوب التفكير ، ورونق المظهر ، فهو يتجمل بالزينة ويتنبل في الكلام ولا ينفك يعلك ألفاظ المثرين المترفين ونباهة هذا النائب لم تأته عن طريق الفطنة والكياسة والخبرة وانما أتته عن طريق التهويش والتهريج والسياسة " [٥٢] .

وفي معرض تناول الكاتب لشخصياته على نحوٍ يكاد يكون تحليلياً في كثير من المقاولات القصصية ، اذ يعرض لنا الكاتب محللاً الصفات الخارجية على نحو ، مفهومة لا يكد فيها فكر ولا ينشغل بال في مطابقة مايراه مكتوباً بما يعيشه أو يشاهده وبهذه الحالة يتولى الكاتب مهمة الاخبارعن الشخصية " ويتلخص في ان القاص يسمي لقارئه خصال الشخصية التي يصورها " [٥٣] ، والمهم في هذه الطريقة ان الكاتب هو من يقود الاحداث ومطلع على كل شيء " ويقدم الشخصيات في صراعها الفكري والنفسي وعلاقاتها فيما بينها ، ويقوم بوصف شامل لمكان الحدث " [٥٤] ، وخير مثال على هذه الصفات آنفة الذكر ما جاء في مقالة (ضحية من هذا ؟) التي جاء فيها : " وجرى على الالسنة الثلاثة كلام في روعة الواقع المحض ، وزخرفة الفن البارع وجاذبية الخيال الممكن ، وكأنما كان يدافع عن الحقيقة مدافعٌ من وراء الغيب ، فدخل علينا فتىً ذاوي الفتوة ، ضارع الجسم ، ألف القدر من شقائه مأساة لا يحتاج الكاتب في سردها الى

تلفيق خياله أو تزويق فنه " [٥٥] ، ويستمر الكاتب على هذا النمط التحليلي في وصف ملامح البطل الخارجية لهذه المقالة ... " قرأ هذا الشاب ما كتبناه في الرسالة عن بعض من عرفنا من فرائس البؤس ، فظن لبراءة فكره وسلامة صدره أن ما نكتبه عن هذه المآسي الأليمة يصادف من أُولي الأمر استماعاً واقتناعاً ورحمة ... فأراد آخر الامر أن يسمعهم أنينه الموجع من هذا المكان القريب " [٥٦] ، وبعد هذه الصفات الخارجية التي أوردها الكاتب بنحو من الزخرفة اللفظية يأتي وصف النتيجة التي أشرك الكاتب فيها من يعود الى تلك الشخصية وكان في مقالة اخرى مثال لهذا مثل قوله " فانكفأ الطريد بالفشل والخجل الى أسرته الو لهى ، ، وباتوا جميعاً على الطوى والجوى يخلطون البكاء بالكباء ويصلون الدعاء بالدعاء حتى سمعوا ان كلية من كليات الجامعة تطلب فراشين فتقدم صاحب الشهادة مع صاحب المكنسة " [٥٧] .

نلحظ عدم غموض اوصاف هذه الشخصيات ، وكذلك مما جاء في مقالات اخرى يصف بها الزيات شخصيات عديدة بطريقة سهلة وواضحة مثل قوله : " قالت ذلك تلميذتي الارستقراطية المسلمة وهي تنصب كرسياً طويلاً من القماش دعتنى الى الجلوس عليه ، ثم جلست هي على الكرسي آخر وكانت كأمها حواء لا يسترِ جسمها العاري الا ورقتان خصفتهما عليه من امام ومن خلف فسرعان ما ذَكَرْتُ ذلك المكتب الفخم الذي كانت تجلس قبالتي عليه لتستعد لامتحان البكلوريا ، وهي ملففة بثوبها الازرق الانيق المسبل وعيناها الساجيتان لا تفارقان الصفحة، وثغرها الحي الدقيق لا يرسل سهل الكلام الا في تلعثم وبطء " [٥٨] . وكذلك اعتمد الكاتب في بعض مقالاته القصصية على الطريقة التمثيلية في اظهار صفات وخصائص ومميزات تلك الشخصيات .

اذ نلحظ الشخصية تعبر عن صفاتها الخارجية تعبيراً متسلسلاً يكتمل في نقطة معينة ليؤدي الى تفاعل هذه الشخصيات مع الحوادث التي مرت بها " ويتيح للشخصية ان تواجه القارئ مباشرة ، فتتحدث إليه ، وتتحاور دون وصاية او توجيه من الشخصيات الأخر ، وتكشف عن نفسها بحرية مطلقة ، ودون ان تنتظر من يحجب عن القارئ بعض افكارها ومواقفها " [٥٩] ، ونلحظ ان مصطلح الطريقة التمثيلية يسمى أحياناً بالكشف او السرد الذاتي ، فهو غير مباشر ويفضله الكُتّاب المعاصرون لانه يضع القارئ وجها لوجه مع الشخصية ويترك له حرية التحليل والتأويل [٦٠] وهكذا نجد ان المقالة تأثرت بالفنون للآخر " فأخذت من السيرة والقصص رسم الشخصيات ومن المسرحية الحوار ومن القصيدة الغنائية النفس الشعري " [٦١] ، وهذا ما نجده واضحاً جلياً في مقالة " الغرام الاول " : " كان ذلك في ربيعي السابع عشر والدنيا غير الدنيا والناس غير الناس كنت أقضي عطلة الدراسة كل صيف في القرية ، فلا اكاد انطلق من قيود الحياة في القاهرة

حتى اعود الى أحضان الطبيعة الرءوم فاذا أينع القطن وحان جنية حلا لي ان اخرج وراء الجانيات الجميلات بعلة أنه اراقب عملهن وأسجل أسماءهن ، ولكن الباعث الصحيح على مكابرة القيظ واحتمال العناء كان شغفي بالجانب الشعري من هذه المشغلة وكان من بين هؤلاء الفتيات النواهد اربع لهن عليّ سلطان غالب وارادة مطاعة لامتيازهن بالحس الرائع أو الصوت العذب أو الدلال العابث ، ولهذه المزايا ... نفسها نشأت بيني وبينهن ألفة " [٦٢] ، لقد بدت صفات البطل من خلال كلامه عن ذكرياته والتي عرض فيها صفاته الخارجية باسلوب عكسي من خلال الكلام عن أولئك الفتيات وتشبيه شكله بشكلهن بما امتزن به من الجمال . وقد مثل امامنا البطل متفاعلاً مع من حوله لاسباب ظهرت في رغبته في ملء خياله من خلال الملاحظات التي كان يجمعها عن الطبيعة ، وتوظيفها لغرض نظم الشعر ، الا أنَّ النتائج كانت اكبر من ذلك ، وكذلك تميزت الطبقة التي ينتمي اليها البطل من غير ان يكتب الكاتب عنها ولا من خلال كلام الشخصية ، بصورة مباشرة عن طبقتها ، وانما من خلال تعامل الشخصية مع تلك العاملات حيث تظهر وبلا شك الخصائص المشتركة بينه وبين الحسناوات ...

وهناك مظاهر أخر تبرز في بعض مقالات الزيات القصصية ، وهي اشتراك كلاً من الطريقة التحليلية والتمثيلية في مقالة واحدة لتعطي شخصية الكاتب دوراً فاعلاً في تأدية وظيفة معينة ، يضع نفسه فيها موضع الناصح والمحاور والسائل ، لاستثارة تلك الشخصية " وعلى الرغم من ان معظم الكّتاب المعاصرين يفضلون (الكشف) عن (الاخبار) الا ان هذا لا يعني ان هناك طريقة واحدة مفضلة بعينها لأن دمج أسلوبين في تصوير الشخصية امر شائع " [٦٣] وهذا ما نجده في مقالة (بين الدين والحب) التي جاء فيها : " لقيته بعد تسع سنين في الاسكندرية على قهوة (تريانون) ، رائق الشباب ، رائع الصورة ، لطيف الشارة ، كما عهدته. وكان هذا اللقاء الجميل مفاجأة سارة من مفاجآت الغيب بانَ اثرها عليّ وعليه فلم ندرّ كيف نسلم ولا ماذا نقول ، هذا الشاب الطر يرٍ من اسرة لبنانية مسلمة تلميذي حيناً من الدهر في الجامعة الامريكية في القاهرة واتصل بيني وبينه الود ، بعد ان تخرج فيها فلما رأيته ... بالاسكندرية في هذه الساعة على هذه الحالة مثل امام عيني جزء مشرق من الماضي القريب كاد يغرقه في لجه النسيان حدثان من الزمن .

- متى قدمت مصر يا عبد القادر ؟ وكيف أخفيت عيني هذا القدوم ؟
- قدمتها منذ ثلاثة أسابيع وقد علمت انك هنا فانبعثتُ ابحث عنك في كل قهوة وفي كل شاطئ ؟ فلم أجدك ومنذ يومين لم يعد لي بالإسكندرية عمل ، ولا أمل الا ان القاك ، فأني فوق ان أراك أريد ان اسئلك عن أمر شغل بالي وشق عليَّ .

– خيراً إن شاء الله [٦٤] .

عند قراءتنا للمقالات القصصية التي اعتمد الكاتب في بعض منها على طريقة التحليل والوصف الخارجي ، ممعناً في ذلك الوصف امعاناً يكاد يطغى على جوانب اخرى لتلك الشخصيات ، ولو بحثنا عن علة اهتمام الكاتب بـ زاوية واحدة من مجموع زوايا شخصياته وهي زاوية الوصف ، الذي يقدم لنا أوصافاً عامة واخرى دقيقة ، ويفسرها تفسيراً كافياً بحيث يراها القارئ رؤية واضحة ، لوجدنا ان السبب الرئيس الذي يجعل الكاتب يهتم بتلك الزاوية عن غيرها من الزوايا ، هو ان الشخصيات في هذه المقالات تكون اقرب الى العمل منها الى التأمل والتخيل والاستبطان ، اذ يكون الكاتب فيها محتاجاً الى إظهار أوصاف شخصياته في المقالات التي يرتكز فيها العمل ارتكازاً كبيراً ما بين تلك الاوصاف ونتيجة ذلك العمل المرتبط بأوصاف تلك الشخصيات ، وتطغى عملية اظهار الملامح الخارجية ... لتلك الشخصيات مثلماجاء في مقالة (على الشاطئ) التي جاء فيها : " ومظلات شتى الالوان قد ركزت هنا وهناك في منحدر الساحل وجمع حاشد عارٍ كسوق الرقيق في الف ليلة وليلة قد بعثر امام الاكشاك وتحت المظلات وفوق الرمال وبين المياه وصراع لذيذ عنيف بين أفواج البر وأمواج البحر تتخلله صيحات وضحكات كرنين الفضة المصفّاة وأحاديث كهمس الأوتار ، وتطير من بين الشفاه البواسم كما تطير أنفاس الصبي الحالم ، ولكنها لا تصعد الى حيث يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح ! وبيئة أجنبية ، ناسها غير ناسنا ، وإحساسها غير احساسنا ولغتها لغة فرنسا ، لالغة مصر ، وسمرتها الشمس لا سمرة الجنس فعلام اذن هذا الجزع الباكي ، والقوم أنما يجرون على أعراقهم ويعملون على مقتضى أخلاقهم وبين فتياتنا وفتياتهم من العرف الاسلامي حجاب ... ومن الحياء الطبيعي وازع " [٦٥] ، لقد ساق الكاتب في هذه الاسطر من المقالة القصصية مظاهر واوصاف توزعت ما بين بيئية من مياه وهواء ورمال وصوت واخرى من صنع البشر سخرها لخدمة نفسه مثل المضلات والاكشاك ، ولقد عمد الكاتب من خلال تلك الأوصاف الى تهيئة جو مناسب لاجراء المفارقات ما بين طبيعتين ونفسيتين ، وهما طبيعة فرنسا وطبيعة مصر ونفسية واخلاق الفرنسيين وما اعتادوا عليه ، ونفسية واخلاق العربي في مصر وما آمن به ، وكان تسخير هذه الأوصاف من اجل التمهيد لتلك المفارقات ولكي تكون النتيجة محسومة على عقيدة وحجة صحيحة عمد الى إبرازها قبل كل شيء .

المبحث الثالث : التحليل والهدف

ومن العناصر السائدة في هذه المقالات القصصية عنصر التحليل والهدف الفكري فالزيات كتب هذه المقالات القصصية لأغراض اجتماعية وفكرية يمثلها

فيها . عند قراءتنا لأي مقال ، أو قصة نتحدث عن مجموع ما احتواه ، ذلك المقال أو تلك القصة ، أي عن الإطار الذي حوى ذلك المقال ، وبلا شك يكون سؤالُنا من خلال ملاحظة ذلك الاطار هو ماذا حدث ؟ الا أننا عندما نحلل ذلك المقال أو القصة نجد السؤال الاول ينتهي ليحل محله سؤال أخر وهو لماذا حدث ؟ ومما لاشك فيه ان نهاية كل قصةٍ تعطينا نوعاً من النتيجة وإلى جانب هذه النتيجة هناك اشياء تحدث فعلاً ، لكن اسباب هذه النتيجة تكون عادةً اكثر اهمية من الحوادث الواقعة ذاتها ، فخلف كل تلك الحوادث تكون النتيجة أو المعنى .

" لا بد لكل قصة جيدة من هدف تسعى الى تحقيقه ، وغاية توضع من اجلها ، وهذه الغاية هي الفكرة التي يدير الكاتب قصته كلها حولها ، وهي تمثل وجهة نظره في الحياة وتفسيره لها ، ونقده لأبنائها . " (٦٦) .

لقد ادار الزيات مقالاته القصصية حول أفكار وأهداف متنوعة فضلاً عن انتقادات وأراء والدعوة إلى الالتزام بها ، وفي اغلب تلك المقالات القصصية نلحظ الأهداف الاجتماعية قد غلبت على بقية الأهداف أو الأفكار ، إضافة إلى وجود افكار وأهداف سياسية وثقافية في تلك المقالات القصصية ، وفي بعض المقالات يكون العنوان ناطقاً بما تحتويه المقالة أو موحياً بالفكرة الرئيسة التي تعالجها المقالة وفي بعض الأحيان يقتصر العنوان على إيضاح الفكرة ومن الاهداف الاجتماعية التي حملتها بعض مقالاته ، وحاول ان ينتقذ الأخطاء التي يضعها المجتمع وبعدها يتغافل عما فعله وينسب ذلك الخطأ الى جهة النساء دون الرجال ، كما جاء في مقالة (على الشاطئ) . التي جاء فيها : " على ان من الظلم الموروث ان الرجل يشارك المرأة في الذنب ثم يفردها بالعقوبة ! فالآن تعود ابنته عارية الى الشاطىء ، والزوج يجلس مع زوجته عارية على المقصف ، والأخ يتعرى مع أخيه في الكشك وفي البحر ، ثم يندلع لسان النقد على المرأة وحدها فيتفهما بحنق الفضيلة ويرميها بذبح الخلق ! يا قوم ! لقد فتشتم في الشواطئ كثيراً عن حياء المرأة ، ففتشوا فيها ولو قليلاً عن نخوة الرجل " (٦٧) .

في ختام تلك المقالة القصصية والتي عرض الزيات فيها لأحد الشواطئ الفرنسية وما فيها من حوادث ومناظر تُذكّرُنا بحقيقة لا مفر منها ، وهي أن من عادة المجتمعات في كل مكان وزمان تقريباً التحدث بأخطاء المرأة وما أسهمت فيه من هدم المُثل والقيم ، والعادات والتقاليد التي تضمن للمجتمعات حالة من الستر والرزق والأمان ، الا أنها عندما خرجت عن تلك العادات والتقاليد والمثل والقيم التي دعت إليها الأديان السماوية أدى ذلك إلى انتشار الفساد والتدني الاخلاقي فيها باتت المجالس في كل مكان تقدم وتُرجع الاسباب كافة الى خروج المرأة عما دعت إليه الأديان ، وما وضع من العادات والاعراف والتقاليد ، الا أنه في الحقيقة التي لا مهرب منها وفي نسبة كبيرة من ذلك التردي الاخلاقي كان

للرجل باعٌ طويل في المشاركة بذلك الهدم من خلال التشجيع والمشاركة والسكوت احياناً ، لما تعمله المرأة ، من غير ان يقوم الرجل سواء أكان أخاً أم زوجاً أم أباً بمنع ما حدث ووضع حدٍ لكل ذلك .

ويتضح من خلال عنوان أحدى مقالاته ان المعنى واضح لما أراد أن يقوله الزيات في مقال (ضحية من هذا) . فنجد في العنوان دليلاً واضحاً عن احد ضحايا المجتمع العربي ، اذ نجد فيه اسرة يقودها أبٌ لا يعرف ما هي الحياة ولا كيفية الادارة لمجريات الأعمال في سبيل اسعاد أبنائه . " فانكفأ الطريد بالفشل والخجل الى أسرته اليائسة الولهى وباتوا جميعاً على الطوى والجوى يخلطون البكاء بالبكاء ويصلون الدعاء بالدعاء حتى سمعوا ان كلية من كليات الجامعة تطلب فراشين ، فتقدم صاحب الشهادة مع صاحب المكنسة واماله كله الا يُناد عن هذا الملجأ الاخير. وها هو ذا الآن في قسم الكيمياء ينظف لرفقائه في الرياسة المقاعد والمناضد باجرةٍ في الشهر مقدارها مائة وأربعون قرشاً يحفظ بها أربعة إعراض وثمانية أرواح ! ولعلة بفضل ما تعلم من المعادلات واللوغارتمات لا يتعب كثيراً في حساب هذا الدخل " [٦٨] . فأثر ما عمله الأب بهذا الابن واضحاً وهو الافلاس نتيجة لعدم معرفة التصرف واهمال مجرى الاعمال وعندما كبر هذا المسكين وقد بقي الشقاء ينتظره بعد أن حصل على شهادة جامعية لم تضع لها الدولة أية قيمة لسبب عدم توفير أي فرصة عمل ولا وضع أي تقدير لأي شهادة يحصل عليها أبناؤها ، ويشرك الكاتب الدولة بل ويضعها في مقدمة الاسباب التي تشقى بها الشعوب ، ففكرة وهدف الكاتب واضحين وهما ما بين الاجتماعي والسياسي ، ومن الافكار التي وضعها الزيات كذلك في معرض مقالاته القصصية لمجابهة الفقر والعوز والمرض ، وهو نداؤه الى الحكومة المصرية بأن تعمل بما جاء به الاسلام وتطبيق نظام الزكاة الذي جاء به الرسول الكريم (ص) بعد رسالته التي بعثه الله في سبيل نشرها ، ولاغرو أن الزكاة هي الركن الثاني من اركان الاسلام بعد الصلاة .

فقد جاء في مقالة (يا إنسان أين الإحسان) : " ذلك سؤال كان ينبغي ان يوجه الى وزارة الأوقاف وأغنياء الأمة ولكن وزارة الأوقاف ليست بيت المال الذي كان يقوم عليه عمر ، والأغنياء في مصر كما افعم الله جيوبهم بالمال افرغ جنوبهم من الرحمة ، فأموالهم للأحزاب والانتخاب وعواطفهم للخيل والكلاب ، فلم يبق لطرائد الشقاء وفرائس الفاقة غير الله ، ولله في أموال هؤلاء القساة حق معلوم هو الزكاة " [٦٩] .

ويستمر الزيات فينقد الحكومة ولاسيما وزارة الاوقاف فيقول : " أنها ان تفعل ذلك ترضي نفوس العامة وفي رضا هؤلاء تكثير النسل وتوفر الانتاج وتيسير المعيشة ، ولن تجد في جباية الزكاة ، ما تجد في جباية الخراج من امتعاض أو

اعتراض أو مشقة ، فأن البذل في سبيل الله بالمؤمنين ، ومليوناً جينة من الصدقات يدخلان بيت المال في كل سنة من الأمانة والعدل لا يتركان في الأمة سائلاً في شارع ، ولا جائعاً في بيت ، ولا جاهلاً في عمل "[٧٠] ، فتبدو فكرة الكاتب جلية في هذه المقالة وهو الإصلاح الاجتماعي من خلال تولي الحكومة جمع الصدقات أو الزكاة وتوزيعها على الفقراء والمساكين بالتساوي لكي لا يبقى هناك جائع أو متسول أو محتاج أو جاهل ، وفي مقالةٍ أخرى يثور فيها الزيات ضد من أحبّ نفسه وآثرها على باقي الناس والنظر من جانب واحد ،وهو جانب الذات ،وتكلم الناس من الطبقة الارستقراطية بكلام لا يفصح عن عقل أو تفهم كما جاء فيها : " عفواً يا صاحب العزة ! لقد عرفت القياس وأنكرت الفارق ،أن أكثر المنافع في أمريكا من افضل الغني فكيف يبطن الفقير له الغل وهو يتعلم في مدرسته طفلاً ، ويعمل في مصنعه رجلاً ويتداوى في مستشفاه مريضاً ، ويأوي إلى ملجئه شيخاً ؟ إن صاحب الملايين في الدنيا الجديدة هو مثل الإنسان الأعلى : أثرى بالكد والإيمان والكفاية ودير ثراءه على قواعد الوطنية والإنسانية والدين ، فكان حرباً على الجهل والبؤس والشر ،وعاملاً للسلام والوئام والمحبة ، أما أغنياؤنا فمثال الطمع الجري والنتح الدنيء والصلف العاني ،أثرياء بالارث أو بالحرص أو بالخط أو بالحيلة ثم كدرو صفو الحياة على الفقير فهم يزاحمونه على المجانية في المدارس ويقيلونه على الوظائف في الدواوين ويدوسون بسياراتهم في الشوارع ، ويسلبونه بطماعيتهم في المزارع ويعدونه عن البرلمان حتى لا يكون لغير أقوالهم سميع ولا يصدر بغير إراداتهم تشريع . ونظر صاحبي في ساعته ذات السوار ، ونظرت أنا الى البحر الأبيض فإذا هو يمور ويفور والصيادون المساكين يكافحون العاصفة ليصيدوا لهذا الغني المبطان لوناً من الطعام تكمل به مائدته الموفره الحافلة ، ثم افترقنا وكل منا على رأيه "[٧١] .

مما سبق تتبلور رؤى وافكار الكاتب على اشكال من النقد والمقارنة فنجده احد الشخصيات في المقالة لمعالجة ظاهرة سادت في المجتمعات ولاسيما في البلدان النامية والعربية منها على وجه الخصوص ، فتلحظ فكرة الزيات وهدفه لا غبار عليها وهي أنه يريد أن تكون للفقراء حقوق ومناصب وواجبات مثلما هي للأغنياء ، وقد جعل الزيات هذه المقالة من اجتماعية الى اجتماعية سياسية .

ويستمر الزيات ناقداً الظواهر الاجتماعية الناجمة من اللامبالاة وعدم وضع الله موضع الرقيب وعدم التفكير بعاقبة الأمور .

ويلتفت كاتبنا في مواضع من مقالاته الى امور سلبية ويعرضها بأسلوب نقدي ساخر لما يتعرض له المسلمون من مواقف ولاسيما في أمور الزواج من أناس لا يجمعنا بهم دين ولا مذهب وهم النصارى الذين يدعون أنفسهم تبعاً وخلفاً لسيدنا المسيح ابن مريم عليه السلام ، فنجد في مقالة (بين الدين والحب)

، ضياع الشاب المسلم وأضاعه الاسلام منه نتيجة لضعف علمه عن دينه مما يجعله موضع العاشق المستهزئ به وبدينه وبرسوله ، من خلال ارتباطه بفتاة لا تفهم من المسيحية ولا الإسلام إلا أنهما عدوان لدودان ، وبينما ذلك الشاب في غمرة تهاونه نجده في نهاية النفق أمام جدار لا يستطيع ثقبه ولا نطحه ولا اجتيازه و ويرجع كل هذا الى اللامبالاة في اختيار شريك الحياة وعدم وضع الثقة بين الطرفين منذ البداية موضع الجدية ادت هذه اللامبالاة والتهاون الى افتراق العاشقين ، وخذلان ذلك الشاب في منتصف الطريق ، من خلال لاحداث السابقة اراد الكاتب ان يؤسس لفكرة انسانية وهي التأكيد والاهتمام بعملية اختيار الشريك الثاني في الحياة .

ومن هذا المنطلق يجسد الكاتب افكاره في مقالاته دفاعـــاً عن الإسلام وتوجيهاً للجميع : " وأخذت منذ ذلك اليوم اشرح لها مبادئ الإسلام على قدر ما يستطيع مسلم تخرج في الجامعة الأمريكية فكانت تصغي لما أقول وتعجب به ولكنها كانت تتهمني بتلقين ذلك مما اعلم من فضائل الأديان وأحوال الأخلاق ثم انسبه زوراً إلى الاسلام فاتفقنا على ان اقدم اليها كتاباً عن الدين الاسلامي في الانجليزية وأن نؤجل البت في أمر الخطبة إلى هذا الشهر فهل تستطيع يا أُستاذي أن تدلني على كتاب في هذا الموضوع يجعل زواجي منها مقالاً لا ريب فيه ، فقلت له والأسى يكاد يعقل لساني : أن كتاب (روح الإسلام) للأستاذ الهندي مير علي هو طلبتك ، فلعلك تصبه في مكاتب الإسكندرية . وعسى ان تعيش يا قارئ العزيز حتى اكتب لك الفصل الاخير من هذه الرواية ! " [٧٢] .

وفي مقالة أُخرى نجد الزيات يعرض فيها امراً سياسياً بحتاً ، وينقد فيه الدول التي تريد الحروب وسيلةً في الوصول الى غايتها ولكن هيهات أن يكون ذلك إلا لمن تهيئت له قوة تجعله يتفرد بها في العالم ،أن مقالة (قصة النمل الابيض) جاءت على لسان ناقد قد خبر من الحياة وتجاربها عبراً جعلته يكتشف إبعاد الأمور على مختلف المستويات ، ومما جاء فيها : " ولو لا ان جاءنا النصر بطريق القرض ، لبقينا كاليهود مشردين في الارض ؟ فهل يزكو بمن قاسى قعرة الظلم أن يظلم ، ومن كابد مذله الحرمان أن يحرم ؟ ثم اسمعك تذكرين الأجنحة المستعارة ، كأنك لا تذكرين الحكمة التي تقول : لا يزال النمل بخير ما لم تنبت له أجنحة فاذا انبتت اجنحته واخذ يطير حادته العصافير ، وهل في أمة النمل احد نسي قول أبي العتاهية شاعر الانس : واذا استوت للنمل اجنحة حتى يطير فقد دنا عطبه " [٧٣] .

نجد فكرة الزيات ووجهة نظره في هذه المقالة التي اناب الرمز فيها مناب الجيوش الحقيقة ، فجعل من النمل جيش فرنسا ومن الطير الابابيل طائرات للطفاء وخلاصة ما اراد أن يحذو بها فكرها أو حلمها بأن تقاتل تلك الدولة التي

تعطي السلاح والطعام وهل يزكو بمن وقف على قدميه تواً بعد أن اطال في النوم بأن يسابق أو يتصارع مع من هو في ركضٍ دائم ومصارعة مستمرة جعلت من عضلاته أكثر قوة واشد تحملاً ، نعم لا يمكن لمن يطلب المساعدة من احد ان يعود بعد المساعدة للوقوف بوجه من سانده ،وهل يمكن من يستورد السلاح ان يقاتل من هو صانع لذلك السلاح اطلاقاً لا يمكن ومن لا يكون واقفاً على قدميه من غير مساعدة ، لا يمكنه ان يسير الا اذا درب نفسه على الوقوف أولاً ثم المشي ، وأما من كان واقفاً ومتقوياً من غير مساعد ، فأنه يقول وقوله مسموع ، ويأمر ، وأمره مستجاب وينهض وينهض له الاخرون مكبرين ومبجليين له وموافقون لما اقترحه عليهم ، وعلى أولئك الذين هم في بداية الطريق نحو الاستقلال ان لا يفكروا في أمر سوى الاستقلال وتهيئة الظروف التي تحفظ ذلك الاستقلال الى حين من الزمن ثم يبدأ بالتفكير بأمور أخرى في درجة من الأهمية ، ومن الأمور التي لا شك في إتباعها أن الأزهار اذا زرعت في صحراء سيلوح السموم لها تلهف الهواجر وتصير الى حال الجفاف بدل الزهو والبهجة . نجد الزيات في مقالة قصصية اخرى يعرض لقصة اجتماعية لا يسمح بوجودها العرف في مناطق كثيرة من الامة العربية وهو الحب ، وهذا ما نجده واضحاً جلياً في مقالة (الغرام الاول) : " وذهبت الى نور في الحقل القريب او دعها وداع الراحل في الغد ، فوجدتها بين البقرة وعجولها الصغار وتوزع بينهن العلف! فجلست على حزمة من البرسيم ، وجلست هي ازائي على اديم الارض ، ومرت برهة من الصمت الحزين قبل ان اقول لها انني عاهدت امها على امر ستعلم بنبأه منها اذا سألتها ، وانني سأسافر في الغد الى القاهرة وساعود في الصيف الى القرية ، فيجمع الشمل ويرجع الأنس ويتحقق الرجاء ، فتبين الاسى في وجه نور وحاولت ان تتكلم فاعياها الكلام ، ولكن وجهها احتقن احتقان المنخنق فانفجرت بالبكاء حتى سمع نشجيها من بعيد فكانت هذه هي المرة الاولى التي قالت فيها نور بلسان الطبيعة القوي الصريح : أني احبك ! وسعى الدهر بيني وبينها فوسع مسافة الخلق بين طريقي وطريقها ، وقطعتني القاهرة عن القرية فأصبحت لا ازورها إلا عاماً ، واستحدثت في نياط القلب اسباب جديدة ، وتزوجت نور من ذلك الشقي الذي تعرف فالح على براءتها بالشر ، وانحنى على سعادتها بالفقر ، حتى اصارها الى ما ترى ، وكم يا صديقي من رحاب الدنيا وصحارى الحياة من ازاهير لوحتها السموم، ولو أنها غرست في أطايب الارض لكانت زينة العيش وبهجة النفس ومتعه النظر " [٧٤] ، لقد أدار الزيات فكرة مقالته حول احداث تم في ختامها حقيقة ان الانسان كمثل سائر النباتات والازهار وكل ما له علاقة بنوعية التربة ومدى كمية ما بتوفر لها من ماء عذب أو اشعة شمس أو الرياح ، فكلما كانت تلك التربة خصبة وماؤها عذب كانت أكثر ازهاراً

وأجمل هيئة وكذلك الإنسان اذا ما تزوج من انسان يتفق معه او بالأحرى يحبه فأنه سيعيش عمراً سعيداً لا تؤثر فيه حوادث الدنيا ما دام هناك جزء اخر يهون عليه ما يلاقيه من مصاعب وعلى العكس من ذلك فاذا ما تزوج الانسان من انسان يكرهه يؤدي ذلك الى موته تدريجياً وجعله انساناً ذابلاً لالون له ولا فكر انما يكون انساناً مشتت الافكار والأذواق .

الهوامش

(١) احمد حسن الزيات كاتياً وناقداً ، نعمة رحيم العزاوي ، ص١١ .
(٢) المصدر السابق ، ص١٣-١٤ .
(٣) فن المقالة الذاتية في الادب العربي الحديث، ربيعي عبد الخالق ، ص١٣-١٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص١٤ .
(٥) فن المقالة ، محمد يوسف نجم ، ص٩٣-٩٤ .
(٦) المصدر نفسه ، ص٩٤ .
(٧) المصدر نفسه ، ص٩٤ .
(٨) المصدر نفسه ، ص٩٤ .
(٩) المصدر نفسه ، ص٩٥ .
(١٠)فن القصة القصيرة بالمغرب ، احمد المديني ، ص٧٩ .
(١١)فن المقالة الذاتية في الادب العربي الحديث ، ص٢٧.
(١٢)البناء الفني رواية الحرب في العراق ، عبد الله ابراهيم ، ص١٦١ .
(١٣)بنية النص السردي ،حميد لحمداني ، ص٤٥ .
(١٤)الادب وفنونه ، دراسة ونقد ، عز الدين إسماعيل ، ص١٨٦ .
(١٥)الزمن والرواية ،أ – أ – مندلاو ، ص١١٩ .
(١٦)الرواية في الشعر العربي المعاصر ، حسين حمودي الجبوري ، مجلة الموقف الثقافي عدد ٣٧ كانون الثاني ٢٠٠٢ ، ص٣٩ .
(١٧)وحي الرسالة ، ج٢ ، ص٤ ، احمد حسن الزيات.
(١٨)المصدر نفسه ، ص٥ .
(١٩)المصدر نفسه ، ص٦ .
(٢٠)وحي الرسالة ، ج١ ، ص٣٧ .
(٢١)بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، ص١٢٠ .
(٢٢)وظيفة الوصف في الرواية ، عبد اللطيف محفوظ ، ص٤٢ .
(٢٣)المصدر نفسه ، ص٣٢ .
(٢٤)وحي الرسالة ، ج١ ، ص٣٧ .
(٢٥)بنية الشكل الروائي ، ص١٦٦ .
(٢٦)وحي الرسالة ، ص٤٠-٤١ .
(٢٧)بناء الرواية ، سيزا قاسم ، ص٧٨ .
(٢٨)وحي الرسالة ، ص٣٥٩ .
(٢٩)البناء الفني لرواية الحرب في العراق ، ص١٨٠ .

(٣٠)بناء الرواية ، ص١٠٦-١٠٧ .
(٣١)المصدر نفسه ، ص١١١ .
(٣٢)وحي الرسالة ، ج٣ ، ص٢٣٥ .
(٣٣)بناء الرواية ، ص١١٠ .
(٣٤)وحي الرسالة ، ج٤ ، ص١٩٩ .
(٣٥)المصدر نفسه ، ص٢٠١ .
(٣٦)وحي الرسالة ، ج٣ ، ص٢٣٥ .
(٣٧)المصدر نفسه ، ص٣٧-٣٨.
(٣٨)الزمن والرواية ، ص١٣٥ .
(٣٩)النهايات المفتوحة ، ص٥٢ .
(٤٠)اختناقات الحرية ومكابدة الخلاص (قراءة في برج المطر) ، بشرى البياتي ، مجلة الموقف الثقافي عدد(٣٦) ، ٢٠٠١ ، ص٦٢ .
(٤١)وحي الرسالة ، ج٢ ، ص٩٣-٩٤ .
(٤٢)النهايات المفتوحة ، ص٥٧.
(٤٣) وحي الرسالة ، ج٢ ، ص٩٥ .
(٤٤)المصدر نفسه ، ص٩٦.
(٤٥)المصدر نفسه، ج١، ص٤٧٤ .
(٤٦)المصدر نفسه ، ج١ ، ص٤٧٤ .
(٤٧)النقد التطبيقي التحليلي ، عدنان خالد ، ص٦٦-٦٧ .
(٤٨)وحي الرسالة ، ج٢ ، ص٥ .
(٤٩)النهايات المفتوحة ، شاكر النابلسي ، ص٣١ .
(٥٠)وحي الرسالة ، ج٢ ، ص٥ .
(٥١)المصدر نفسه، ج٣ ، ص٣٥٩-٣٦٠.
(٥٢)المصدر نفسه ، ص٣٥٩-٣٦٠.
(٥٣)النقد التطبيقي التحليلي ، ص٦٨ .
(٥٤)البناء الفني لرواية الحرب في العراق، ص١٦٨ .
(٥٥)وحي الرسالة، ج٢، ص٤-٥.
(٥٦)المصدر نفسه ، ،ج٢ ،ص٥ .
(٥٧)المصدر نفسه ، ج٢، ص٥ .
(٥٨)المصدر نفسه ، ج٢، ص٦ .
(٥٩)البناء الفني لرواية الحرب في العراق، ص١٧٦ .
(٦٠)ينظر : النقد التطبيقي التحليلي ، ص٦٨ .
(٦١)فن المقالة، ص٩٦ .
(٦٢)المصدر السابق ، ج٤ ، ص٢٠٢ .
(٦٣)النقد التطبيقي التحليلي ، ص٦٨ -٦٩.
(٦٤)وحي الرسالة ، ج٢ ، ص٩٣ .
(٦٥)المصدر نفسه ، ص٩٨ .
(٦٦)فن القصة ، احمد ابو سعد ، ص١٣ .
(٦٧)وحي الرسالة ، ج١ ، ص٤١ .

(٦٨)وحي الرسالة ، ج٢ ، ص٧ .
(٦٩)المصدر نفسه ، ج١ ، ص٤٧٠.
(٧٠)المصدر نفسه ، ص٤٨٠.
(٧١)المصدر نفسه ، ص٤٨٠.
(٧٢)المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٩٦-٩٧.
(٧٣)المصدر نفسه ، ج٣، ص٢٣٥.
(٧٤)المصدر نفسه، ص٢٣٥.

المصـــادر والمراجـــع

أولاً : الكتب .

١- احمد حسن الزيات كاتباً وناقداً ، نعمة رحيم العزاوي ، دار الرشيد للنشر ، جمهورية العراق . د. ت .
٢- الأدب وفنونه ، عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٦ ، ١٩٦٥ .
٣- بناء الرواية ، سيزا قاسم ، دار التنوير ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥ .
٤- البناء الفني لرواية الحرب في العراق ، عبد الله ابراهيم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٨ .
٥- بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ .
٦- بنية النص السردي ، حميد لحمداني ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ب – ت .
٧- الزمن والرواية ، أ . أ ، مندلاو ، ترجمة بكر عباس ومراجعة إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ .
٨- فن القصة ، احمد ابو سعد ، دار الشرق الجديد ، ط١ ، بيروت ، ١٩٥٩ .
٩- فن القصة القصيرة بالمغرب العربي في النشأة والتطور والاتجاه ، احمد المديني ، دار العودة ، بيروت ، د. ت .
١٠- فن القصة ، محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ، ط٧ ، سنة ١٩٧٩ .
١١- فن المقالة ، محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ، د. ت .
١٢- فن المقالة في الادب العربي الحديث ، ربيعي عبد الخالق ، دار المعرفة الجامعية ، اسكندرية ، د.ت .
١٣- النقد التطبيقي التحليلي ، عدنان خالد ، دار الشؤون الثقافية ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٦ .
١٤- النهايات المفتوحة (دراسة نقدية في فن انطوان تشيكوف القصصي) ، شاكر النابلسي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط٢ ، ١٩٨٥م .
١٥- وحي الرسالة ، احمد حسن الزيات ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، الفجالة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٦ .
١٦- وظيفة الوصف ، عبد اللطيف محفوظ ، دار اليسر للنشر والتوزيع ، المملكة المغربية ، ط١ ، ١٩٨٩ .

ثانياً : الدوريات

١- اختناقات الحرية ومكابدة الخلاص (قراءة في برج المطر) ، بشرة البستاني ، مجلة الموقف الثقافي ، عدد (٣٦) ، ٢٠٠١ .

٢- الرواية في الشعر العربي المعاصر ، حسين حمزة حمودي الجبوري ، مجلة الموقف الثقافي عدد (٣٧) ، كانون الثاني ٢٠٠٢ .

Elements nonfiction articles inZayat

Ayad Jawhar Abdallah

Instructor

College of education/ Kirkuk Unv.

ABSTRACT

It introduces a prominent figure in the modern tvab literature (Ahmad Hassan AL – Ziat) .

The narra tive essays include many factors that belong to the short story and essay inclucling narration was objective . he narrates them without tatinh part in them besides there are auto – narration .

The charaeters inhis essays belong to the low arel aristo critic class the writer determines the dimensiors of characters socially arel professioelly he analyzes the psychology of some of his choracters zayyat depicts haraeters by way of analysis he approaches description where there is thend ency to show up deseription because it tas aesthetic value the writer tends to touah descrotion for explana tory function , the writer derires wast his srbjects by was of dialogue.

Ahlysis and aim are the last faetor . The writer introduces social , critical , intellectual or political objects and depicts

these gous in gis essay .

This researeh fallsinta fowr sections inaddition to a preliminary .

The first setion tacliles definition narration ,subgectire and objectire narration inadelition to time of narration .

The second sections depicts choraeters and heras .

The third section ineludes definition of deseription dialogue , its , funetion then the relation between dialogue and description .

The last section is about analysis and goals .